

تفسير ابن كثير

قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن هاشم عن حميد عن أنس B قال : استشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس في الأسارى يوم بدر فقال [إن الله قد أمكنكم منهم] فقام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : [يا أيها الناس إن الله قد أمكنكم منهم وإنما هم إخوانكم بالأمس] فقام عمر فقال : يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد النبي صلى الله عليه وسلم فقال : للناس مثل ذلك فقام أبو بكر الصديق B فقال : يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء قال فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الفداء قال وأنزل الله D { لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم } وقد سبق في أول السورة حديث ابن عباس في صحيح مسلم بنحو ذلك وقال الأعمش : عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ما تقولون في هؤلاء الأسارى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستتبهم لعل الله أن يتوب عليهم وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فقدمهم فاضرب أعناقهم وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله أنت في واد كثير الحطب أضرم الوادي عليهم نارا ثم ألقيهم فيه قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا ثم قام فدخل فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس : يأخذ بقول عمر وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة .

ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام قال { فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم } وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى عليه السلام قال { إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم } وإن مثلك يا عمر كمثل موسى عليه السلام قال { ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم } وإن مثلك يا عمر كمثل نوح عليه السلام قال { رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا } أنتم عالة فلا ينفكن أحد منهم إلا بفداء أو ضربة عنق قال ابن مسعود : قلت : يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء فإنه يذكر الإسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيته في يوم أخوف من أن تقع علي حجارة من السماء مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلا سهيل بن بيضاء فأُنزل الله D { ما كان لنبي أن يكون له أسرى } [إلى آخر الآية رواه الإمام أحمد والترمذي من

حديث أبي معاوية عن الأعمش به والحاكم في مستدركه وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وروى
الحافظ أبو بكر بن مردويه عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة Bهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم نحوه وفي الباب عن أبي أيوب الأنصاري وروى ابن مردويه أيضا واللفظ له والحاكم في
مستدركه من حديث عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن
عمر قال : لما أسر الأسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر أسره رجل من الأنصار قال وقد
أوعده الأنصار أن يقتلوه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم [إني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه] فقال له
عمر أفأتهم ؟ فقال [نعم] فأتى عمر الأنصار فقال لهم : أرسلوا العباس فقالوا : لا والله
لا نرسله فقال لهم عمر : فإن كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم رضى ؟ قالوا فإن كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم رضى فخذ
فأخذه عمر فلما صار في يده قال له : يا عباس أسلم فوالله لأن تسلم أحب إلي من أن يسلم
الخطاب وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه إسلامك قال واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر فيهم
فقال أبو بكر عشيرتك فأرسلهم فاستشار عمر فقال : اقتلهم ففاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله {
ما كان لنبي أن يكون له أسرى } الآية قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
وقال سفيان الثوري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي بن B قال : جاء
جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال : خير أصحابك في الأسارى إن شاءوا الفداء وإن شاءوا
القتل على أن يقتل عاما مقبلا منهم مثلهم قالوا : الفداء ويقتل منا رواه الترمذي
والنسائي وابن حبان في صحيحه من حديث الثوري به وهذا حديث غريب جدا وقال ابن عون عن
عبيدة عن علي بن B قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسارى يوم بدر : [إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم
فاديتموهم واستمتعتم بالفداء واستشهد منكم بعدتهم] قال فكان آخر السبعين ثابت بن قيس
قتل يوم اليمامة B ومنهم من روى هذا الحديث عن عبيدة مرسلًا فوالله أعلم وقال محمد بن
إسحاق عن ابن أبي نجیح عن عطاء عن ابن عباس : { ما كان لنبي أن يكون له أسرى } فقرا
حتى بلغ عذاب عظيم قال غنائم بدر قبل أن يحلها لهم يقول : لولا أنني لا أعذب من عصاني حتى
أتقدم إليه لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وكذا روى ابن أبي نجیح : عن مجاهد وقال الأعمش :
سبق منه أن لا يعذب أحدا شهد بدرا وروى نحوه عن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن جبير وعطاء
وقال شعبة عن أبي هاشم عن مجاهد { لولا كتاب من الله سبق } أي لهم بالمغفرة ونحوه عن
سفيان الثوري C وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس في قوله { لولا كتاب من الله سبق }
يعني في أم الكتاب الأول أن المغانم والأسارى حلال لكم { لمسكم فيما أخذتم } من الأسارى {
عذاب عظيم } قال الله تعالى : { فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا } الآية وكذا روى العوفي عن ابن
عباس وروى مثله عن أبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبير وعطاء والحسن البصري وقتادة
والأعمش أيضا أن المراد { لولا كتاب من الله سبق } لهذه الأمة بإحلال الغنائم وهو اختيار ابن

ويستشهد لهذا القول بما أخرجه في الصحيحين عن جابر بن عبد الله A : قال : قال رسول الله A : [أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة] وقال الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة B : قال : قال رسول الله A : [لم تحل الغنائم لسود الرؤوس غيرنا] ولهذا قال تعالى : { فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا } الآية فعند ذلك أخذوا من الأسارى الفداء وقد روى الإمام أبو داود في سننه : حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العبسي حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا شعبة عن أبي العنيس عن أبي الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله A جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمئة وقد استمر الحكم في الأسرى عند جمهور العلماء أن الإمام مخير فيهم إن شاء قتل كما فعل ببني قريظة وإن شاء فادى بمال كما فعل بأسرى بدر أو بمن أسر من المسلمين كما فعل رسول الله A في تلك الجارية وابنتها اللتين كانتا في سبي سلمة بن الأكوع حيث ردهما وأخذ في مقابلتهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين وإن شاء استرق من أسره هذا مذهب الإمام الشافعي وطائفة من العلماء وفي المسألة خلاف آخر بين الأئمة مقرر في موضعه من كتب الفقه